(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء:٤٠-٤٤]

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلا الله

الحمد لله، ينكر الله على أهل الجاهلية الذين يكرهون البنات ويزعمون أن الملائكة بنات الله، وهذا من العجائب ومن ضروب السفه، كما جاء هذا المعنى في مواضع {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} [النحل:٥٧] لهم البنون يفضِّلون البنين يختصُّون بهم ويكرهون البنات {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل:٥٨] ويجعلون لله ما يكرهون {أَفَأَصْفَاكُمْ} اختصَّكم واختار لكم البنين {وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} قول عظيم في القبح والشناعة والفساد، قول عظيم، لهم البنون ولله البنات {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا}، {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم:١٩-٢٢]، يعني جائرة.

ثم قال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا}، {صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ} نوع في هذا القرآن أنواع البيان بضرب الأمثال والوعد والوعيد {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه:١١٣]، {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} لا يزيد أهل القلوب القاسية، أعوذ بالله، والمريضة بالكفر والشرك والنفاق {وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ} قل يا أيها الرسول {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ} كما يقول هؤلاء المشركون {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} لو كان مع الله آلهة كما يقول هؤلاء المشركون ويزعمون، كما يقولون ويزعمون ويفترون {إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} يعني إذاً لابتغى هؤلاء الآلهة إلى الله سبيلًا قيل بالتقرُّب إليه وقيل لمغالبته {إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} هذا تنزيه لله عمَّا يقولون، سبحانه، لفظة "سبحان" ولفظة "تعالى" كلاهما من ألفاظ التنزيه فإذا ذُكِر الله بما لا يليق به نقول سبحان الله، نقول تعالى، تعالى الله عن قول الجاهلين والمفترين والمشركين علوًّا كبيرًا وهذا كثير في القرآن، يسبِّح الله

نفسه عن شرك المشركين وعن أقوال المفترين ويعلِّمنا ذلك، يعلِّمنا أن نسبِّحه ونقدِّسه وننزِّهه فنقول سبحان الله، ومن كلمات الذِّكر الأربع سبحان الله تنزيهًا لله عن كل النقائص والعيوب، سبحان الله عمَّا يصفون.

يقول تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} تسبِّح له العوالم العلويَّة والسفليَّة، تسبِّح له جميع المخلوقات، تسبِّح له وتنزِّهه وتقدِّسه بلسان الحال وبلسان المقال {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} ما من شيء، ما من شيء، نكرة عامَّة في سياق نفي {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} حليم لا يعاجل بالعقوبة وهو غفور كثير المغفرة واسع الرحمة {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}، {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [فاطر:٤٥]، فهو يملي للظالمين، ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

نعم يا مُحَمَّد

(تفسير السعدي)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير قول الله تعالى:

{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا}.

وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتَّخذ من خلقه بنات

الشيخ: يعني جمعوا بين قبيحتين، جمعوا بين نسبة الولد إلى الله وبين يعني اختيارهم له الصنف الأدنى، فلو أنهم قالوا الملائكة أبناء الله، لو أنهم قالوا الملائكة أبناء الله ارتكبوا ارتكبوا خصلة واحدة من قبيح القول وهو نسبة الولد إلى الله، لكن لما نسبوا إليه الولد نسبوا إليه الصنف الأدنى عندهم فكان هذا يعني مزيد قبح في قولهم مناقض للعقل والشرع والواقع

القارئ: وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتَّخذ من خلقه بنات فقال: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ} أي: اختار لكم الصفوة والقسم الكامل واتَّخذ لنفسه من الملائكة إناثًا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.

{إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} فيه أعظم الجرأة على الله حيث نسبتم له الولد المتضمِّن لحاجته واستغناء بعض المخلوقات عنه

الشيخ: أيش يقول؟ المتضمن

القارئ: المتضمِّن لحاجته

الشيخ: نعم

القارئ: واستغناء بعض المخلوقات عنه وحكمتم له بأردأ القسمين، وهنَّ الإناث وهو الذي خلقكم واصطفاكم بالذكور فتعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الشيخ: قال الله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا} الآيات، يخبر تعالى أنه صرَّف لعباده في هذا القرآن أي: نوع الأحكام ووضَّحها وأكثر من الأدلَّة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكر لأجل أن يتذكَّروا ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرُّهم فيدعوه.

ولكن أبى أكثر الناس إلَّا نفورًا عن آيات الله لبغضهم للحقِّ ومحبَّتهم ما كانوا عليه من الباطل حتى تعصَّبوا لباطلهم ولم يعيروا آيات الله لهم سمعًا ولا ألقوا لها بالًا

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: ومن أعظم ما صرَّف فيه الآيات والأدلَّة التوحيد الذي هو أصل الأصول

الشيخ: أيش يقول؟ أيش يقول؟

القارئ: ومن أعظم ما صرَّف فيه الآيات والأدلَّة التوحيد الذي هو أصل الأصول، فأمر به ونهى عن ضدِّه وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية شيئًا كثيرًا بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكًّا ولا ريبًا.

ومن الأدلَّة على ذلك هذا الدليل العقلي الذي ذكره هنا فقال: {قُلْ} للمشركين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر: {لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ} أي: على موجب زعمهم وافترائهم {إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} أي: لاتَّخذوا سبيلًا إلى الله بعبادته والإنابة إليه والتقرُّب وابتغاء الوسيلة، فكيف يُجعَل العبد الفقير الذي يرى شدَّة افتقاره لعبودية ربِّه إلهًا مع الله؟! هل هذا إلَّا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟".

فعلى هذا المعنى تكون هذه الآية كقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء:٥٧]

وكقوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} [الفرقان:١٧-١٨]

ويُحتمَل أن المعنى في قوله: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} أي: لطلبوا السبيل وسعوا في مغالبة الله تعالى، فإما أن يعلوا عليه فيكون من علا وقهر هو الرب الإله، فأما

وقد علموا أنهم يقرُّون أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء فلِمَ اتَّخذوها وهي بهذه الحال؟ فيكون هذا كقوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون:٩١]

{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى} أي: تقدَّس وتنزَّه وعلت أوصافه {عَمَّا يَقُولُونَ} من الشرك به واتِّخاذ الأنداد معه {عُلُوًّا كَبِيرًا} فعلا قدره وعظم

الشيخ: أيش؟

القارئ: فعلا قدره وعظم وجلَّت كبرياؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة فقد ضلَّ من قال ذلك ضلالًا مبينًا وظلم ظلمًا كبيرًا.

لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة وصغرت لدى كبريائه السموات السبع ومن فيهنَّ والأرضون السبع ومن فيهنَّ {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر:٦٧]

وافتقر إليه العالم العلويُّ والسفليُّ فقرًا ذاتيًّا لا ينفكُّ عن أحد منهم في وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم الذي إليه يتقرَّبون وإليه في كلِّ حال يفزعون، ولهذا قال:

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ} من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحيٍّ وميِّت {إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} بلسان الحال ولسان المقال. {وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علَّام الغيوب.

{إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} حيث لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولًا تكاد السموات والأرض تتفطَّر منه وتخرُّ له الجبال ولكنه أمهلهم وأنعم عليهم وعافاهم ورزقهم ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم ليعطيهم الثواب الجزيل ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته لسقطت السموات على الأرض ولما ترك على ظهرها من دابة.

قال الله تعالى

الشيخ: إلى هنا، بارك الله فيك.